المنظومة

العنوان:	علم اللغة وقضايا علم الاجتماع
المصدر:	مجلة الحكمة للدراسات الإجتماعية
الناشر:	مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع
المؤلف الرئيسي:	بايزيد، جاب االله
المجلد/العدد:	ع1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2022
الصفحات:	112 - 127
DOI:	10.34277/1456-010-001-005
رقم MD:	1241612
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	اللسانيات الاجتماعية، علم اللغة الاجتماعي، علم اللغة، الرموز اللغوية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1241612

© 2026 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

بايزيد، جاب االله. (2022). علم اللغة وقضايا علم الاجتماع.مجلة الحكمة للدراسات الإجتماعية، ع1، 112 - 127. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1241612

إسلوب MLA

بايزيد، جاب االله. "علم اللغة وقضايا علم الاجتماع."مجلة الحكمة للدراسات الإجتماعيةع1 (2022): 112 - 127. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1241612

© 2026 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
Eissn :2600-643x Issn : 2353-0529
المجلد 10 / العدد: 1 (2022)، ص: 112-127

علم اللغة وقضايا علم الاجتماع

linguistics and the social sciences

الأستاذ: جاب الله بايزيد[1]
[1]جامعة زيان عاشور (الجلفة)- الجزائر.
jaballahbaizid@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/11/28 تاريخ القبول: 2022/03/02 تاريخ النشر:2022/03/30

ملخص:

يحسن بنا قبل الخوض في الحديث عن صلة اللغة بالمجتمع، أو عن علاقة علم اللغة بعلم الاجتماع أن نضع بين يدي البحث تعريف علم اللغة الاجتماعي كما صاغه المتخصصون عرفه د. هدسون، فقال: «إنه دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع». ومع أن الغربيين لم يبرعوا في هذه الدراسات إلا منذ أمد قريب، فإن علماء العرب تركوا لنا في هذا المضمار تراثا قيمة، يدل على سبقهم من ناحية، وعلى سعة أفقهم في الدراسات اللغوية من ناحية أخرى

كلمات مفتاحية: اللسانيات/علم الاجتماع/ المنهج/المنهج الاجتماعي

Abstract:

It is better for us, before going into the discussion about the relationship of language with society, or about the relationship of linguistics with sociology, to put in the hands of the research the definition of sociolinguistics as formulated by specialists, defined by Dr. Hudson, he said: "It is the study of language in relation to society." Although Westerners did not excel in these studies until a long time ago, Arab scholars left us in this field a valuable heritage, which indicates their precedence on the one hand, and their broad horizons in linguistic studies on the other hand.

Keywords: Linguistics/sociology/methodology/social method

المؤلف المرسل: جاب الله بايزيد

1. مقدمة:

يلتقي الباحثون القدماء والمحدثون الحريصون على ربط علم اللغة بعلم الاجتماع في ملتقى واحد، وهو الاعتقاد القاطع بأن اللغة ظاهرة اجتماعية لا فردية. «إن وجود اللغة يشترط وجود مجتمع، وهنا يتضح الطابع الاجتماعي للغة، فليس هناك نظام لغوي يمكن أن يوجد منفصلا عن جماعة إنسانية تستخدمه، وتتعامل به» (حجازي م.، 1989، صفحة 12).

وإذا كان أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ) قد قال: «إن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» (جني، 1952، صفحة 31/1) فإنه بهذا التعريف الوجيز أجمل قبل ألف سنة ما فصله علماء الغرب في العصر الحديث، إذ كشف بكلمتين اثنتين القناع عن الوجه الاجتماعي اللغة، فالقوم المجتمع، والأغراض أفكار المجتمع ومشاعره. وفحوى كلامه أن اللغة ظاهرة اجتماعية لا ظاهرة فردية، لأن الإنسان لا يستخدمها ليترجم أفكاره ومشاعره لنفسه، بل لمن حوله من بني جنسه، أي للمجتمع.

ولم يضف فندريس جديدة إلى تليد حينما قال: «في أحضان المجتمع تكونت اللغة، ووجدت يوم أحسن الناس بالحاجة إلى التفاهم» (فندريس، 1950، صفحة 35). ولم يزد (ماريوباي) على كلمة أبي الفتح إلا لفظة (علم) وشيئا من البسط والتمديد لما تقبض وتكثف في عبارة ابن جني، قال ماريوباي: «إن اللغة لها علاقة وثيقة بعلم الإنسان وعلم الاجتماع باعتبارها نتاج علاقة اجتماعية» (باي، 1973، صفحة 57). ورأى جان بياجيه «أن اللغة مؤسسة اجتماعية تحكمها نواميس مفروضة على الأفراد» (المسدي، 1986، صفحة

161). وربما كان دركهايم أسبق الباحثين الغربيين إلى هذا المذهب، وعنه أخذا اللاحقون، لكنهم أسرفوا فيما اعتدل فيه، ومنهم دو سوسير السويسري الأصل.

ولم يخالف عدد من الباحثين المحدثين من العرب عن هذا الاتجاه الاجتماعي في دراسة اللغة، بل اختاروه، وجمعوا في دراستهم بين اللغة وعلوم الاجتماع، «فدل اختيارهم على إدراك أن اللغة وتلك العلوم تتشارك في إظهار العلاقات الشخصية والثقافية والاجتماعية». (البقري، 1984، صفحة 08)

ولما كان كل علم جديد في حاجة إلى تحديد، فقد خشي الباحثون العرب - وهم يخوضون غمار هذا العلم - أن يقحموا فيه ما ليس منه، ولذلك حرصوا على تعريفه ليضعوا له حده، وليرسموا حوله حدوده. قال الدكتور كمال بشر: «وليس المقصود بهذا العلم أنه (تركيبة) أو (توليفة) من علم اللغة وعلم الاجتماع، أو أنه مزج لهما، أو تجميع لقضاياهما ومسائلهما، إنه يعني باختصار شديد ذلك العلم الذي يدرس اللغة في علاقاتها بالمجتمع. إنه ينتظم كل جوانب بنية اللغة، وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية». (بشر، 1995، صفحة 41)

وسواء أأسرف أصحاب علم اللغة الاجتماعي من الأجانب والعرب في ربط هذا العلم بالمجتمع أم اعتدلوا فهم جميعا متفقون على دراسة هذا الارتباط. «ويسوغ ظهور هذه الدراسة أن المشكلات اللغوية والاجتماعية مترابطة ترابطا وثيقا، حتى إن علم اللغة ذاته قد اعتبر أحيانا من العلوم الاجتماعية». (العزيز، 1983، صفحة 90)

ومن ينظر في هذا الفرع من الدراسة يجده متوازنة، لأن جانبا منه غلب المجتمع على اللغة، وجانبا آخر غلب اللغة على المجتمع، فنجم التوازن، وخرج الباحثون المختلفون بثمرة واحدة، هي أن اللغة والمجتمع يتقارضان التأثر والتأثير تقارضا جدليا.

فالذين غلبوا اللغة على المجتمع وجدوا أن اللغة تعمل عملها في تنشئة الطفل وتربيته وفق المفاهيم التي تختزنها، ثم تتابع تأثيرها فيه بلا توقف إلى أن يبلغ أشده ورشده. «فالرمز أي اللغة هو الذي يحول الطفل إلى كائن بشري مكتمل». (بيلز، 1976، صفحة 166) وعلة ذلك أن الرموز اللغوية التي يستخدمها الطفل ليست أصواتا مجردة من المشاعر والمعاني والقيم، وإنما هي خزائن المعاني والمشاعر والقيم. «إن أنواع السلوك البشري كافة تتكون من استخدام الرموز، أو تعتمد على أنواع من الرموز، فالسلوك البشري سلوك رمزي، والسلوك الرمزي سلوك بشري». (بيلز، 1976، صفحة 166)

فنحن - العرب - نقبس من دراستنا اللغة العربية كثيرة من الممثل والأخلاق الكريمة، ونتأثر بالفضائل الموروثة، فنلتزمها، وننفر من الرذائل التي نفر منها الأوائل، فنتجنبها. وإذا كان المجتمع الذي نعايشه يمدنا بالمفاهيم السائدة طوال حيواتنا القصيرة فإن اللغة قد لخصت برموزها مفاهيم حيوات طويلة جدا تفوق أعمارنا لأن عمرها عمر التاريخ العربي والإسلامي كله. وانصياعا لسلطان اللغة، «فالبشر لا يتعلمون عن طريق الخبرة المباشرة والملاحظة والتقليد فقط، وإنما يتعلمون كذلك من خلال أساليب السلوك التي تعلموها، وتنقلها اللغة إلى كل جيل جديد» (بيلز، 1976، صفحة 167).

وذهب بعض الدارسين إلى أن سلطان اللغة الذي لا يقاوم قادر على أن يحدد نظرنا إلى الحياة، ويرسم طريقنا فيها، ورأوا أن الإنسان ليس حرا فيما يأخذ وينبذ، ويناصر وينافر. وإنما هو عبد طبع في يد اللغة التي تعرفه الواقع، وتحدد موقفه من المشكلات الاجتماعية المحيطة به من كل جانب. قال سابير **Sapir**: «اللغة دليل للواقع الاجتماعي. وبالرغم من أن اللغة لا يعتقد أنها ذات أهمية ضرورية لدراسة العلوم الاجتماعية، فإنها هي التي تحدد لنا كل تفكيرنا في المشكلات الاجتماعية» (ثريا، 1998، صفحة 25).

وفي وجه هذا التيار المنتصر للغة وقف تيار آخر ينتصر للمجتمع، ويعده صاحب الفضل الأكبر عليها، لأنه مصدرها الأول. ولما كان «اللسان جملة من القواعد التي تواضع عليها المجتمع بكل أفراده» (المسدي، 1986، صفحة 100) فإن الإنسان المالك لزمام اللسان، أي: المجتمع المتصرف بأمور اللغة قادر على أن يوجهها الوجهة التي يتخيرها. «فنشأ لذلك فرع من العلوم الاجتماعية يسمى (علم الاجتماع اللغوي)، يحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، ويبين أثر تلك الحياة الاجتماعية في الظواهر اللغوية المختلفة» (رمضان، 1985، صفحة 125). ومن الدارسين من سمى هذا العلم «علم اللغة الاجتماعي»، وحدد إطاره أو موضوعه، فقال: «إنه دراسة الصلة بين اللغة والمجتمع».

ومن ينقر عن تأثير المجتمع في اللغة يقف على أشياء كثيرة: أبرزها أن مستوى التطور الاجتماعي يرسم مستوى التطور اللغوي. فالمجتمع البدائي لم يرق تصوره للمعاني من الجزئي إلى الكلي، ولهذا جاءت لغته مجزأة في التعبير عن الكليات. إن المجتمع البدائي «قد توجد لديه كلمات خاصة للدلالة على المعاني الجزئية كغسل نفسه، وغسل شخص آخر، وغسل رأس شخص آخر، وغسل وجهه، وغسل وجه شخص آخر ... في حين أنه لا توجد لديه كلمة واحدة للدلالة على العملية البسيطة، وهي مجرد الغسل» (أولمان، 1962، صفحة 116).

ومن الظواهر التي لاحظها الباحثون في ميدان علم الاجتماع اللغوي طغيان الحسن على التجريد في لغات المجتمعات البدائية. إن تجريد المعاني العامة من المحسوسات الخاصة مرحلة متأخرة الظهور، لا تتبدى إلا حينما تصيب المجتمعات حظا من التحضر، ولهذا تجد «اللغة في المجتمع البدائي كثيرة المفردات فيما يتعلق بالأشياء المحسوسة» (رمضان، 1985، صفحة 129)، قليلة المفردات في المجردات، خالية من الألفاظ الشديدة التجريد كالعقل والغريزة والأمل والمنطق.

ومن ظواهره أيضاً قلة الألفاظ بصورة عامة، حتى إن بعض اللغات لا تزيد مفرداتها على ثلاثمائة كلمة (ديورانت، 1971، صفحة 123/1). ولذلك اقترنت هذه اللغات بفيض من الإشارات، ترافق النطق، وتساعد على التواصل، حتى إن أبناء بعض القبائل الهندية كقبيلة (أرباهو) كانوا عاجزين عن التفاهم في الظلام (ديورانت، 1971، صفحة 124/1).

ولما كانت اللغة مرآة للحياة الاجتماعية فإن اللغة تعد من أصدق الوسائل وأدقها في الكشف عن طبيعة المجتمعات وسماتها الحضارية. فاللغة العربية في العصر الجاهلي نقلت إلينا سمات المجتمع الجاهلي وخصائصه البدوية. إن مفرداتها «تشير إلى الحياة البدوية وما يتصل بها من مظاهر الطبيعة، وحيوان الصحراء، ومظاهر السلوك التي تناسب هذه الحياة. فلا عجب أن تجد فيها مئات الألفاظ بل آلافها التي تتحدث عن الإبل» (العزيز، 1983، صفحة 94). وحينها تحضر البداة حفلت اللغة العربية بألفاظ تصور حياة الترف والسرف، إما بتطور الألفاظ القديمة، وإما بتبني مئات الكلمات الدخيلة المعربة.

وذهب علم الاجتماع اللغوي إلى أن اعتزال فئة حرفية من فئات المجتمع أو طبقة اجتماعية من طبقاته يصنع لها لغة خاصة بها، لها مفرداتها ودلالاتها الخاصة. قال فندريس «كان عندنا حتى بداية القرن التاسع عشر هيئة منظمة حقا للأشقياء، وكانت لها لغتها الخاصة المتفق عليها، والتي كان يعمل كل عضو من أعضاء الهيئة على المحافظة عليها» (فندريس، 1950، صفحة 316).

ولم يغفل الباحثون في علم الاجتماع اللغوي عن تأثير البناء الخلقي في البناء اللغوي، بل رصدوا تسرب الغرائز إلى اللسان، وضربوا أخلاق المجتمع على محك اللغة، فتبين لهم أن تعهر المجتمع وسقوطه في الفواحش ينشران القحة والبذاءة في لغته، وأن سموه بالغرائز، وحفاظه على نقاء الأعراض يطهران كلامه من الرقث والخبث. «فاللغة اللاتينية لا تستحي أن تعبر عن العورات والأمور

المستهجنة والأعمال الواجب سترها بعبارات مكشوفة، ولا أن تسميها بأسمائها الصريحة. على حين أن اللغة العربية بعد الإسلام تتلمس أحسن الحيل، وأدناها إلى الحشمة والأدب في التعبير عن هذه الشؤون، فتلجأ إلى المجاز في اللفظ، وتستبدل الكناية بصريح القول، (واهجروهن في المضاجع) النساء 34 (أو لامستم النساء) النساء 43 أو (فاعتزلوا النساء في المحيض) البقرة 222» (وافي، 1946، صفحة 13). ولك أن تعد اللهجات العامية المنحدرة من لغتنا الفصحى شك" من أشكال التأثير الاجتماعي في اللغة. وهذا التأثير خلف في الأقطار العربية لغتين أو طريقتين من طرائق التعبير: لغة المثقفين الفصيحة التي صانها القرآن الكريم، واتخذها الأدب والعلم وسيلة للتعبير الفكري الراقي، ولغة السوقة العامية التي تشيع في الحياة اليومية، وتختلف من قطر إلى قطر، ومن إقليم إلى إقليم في القطر العربي الواحد (العزيز، 1983، صفحة 91).

وللمجتمع سلطان يفرضه على اللغة وعلى الفرد، ويتبين لك جبروت هذا السلطان إذا أصغيت إلى السخر الذي يقابل به من يخالف أسلوب المجتمع في الكلام. فما خرج على طرائق التعبير المألوفة خارج إلا استنكر القوم خروجه، حتى يردوه إلى ما ألفوا. وكأن هذا السلطان سور يحوط اللغة ويصونها من التغير، وإذا حدث فيها بعض التغير لم يكن الجديد من صنع فرد، بل من صنع الجماعة. ولهذا تقرر في علم اللغة الاجتماعي «أن تغير آلية اللغة يمكن فهمه من خلال دراسة القوى الاجتماعية التي تستعمل اللغة بصور مختلفة». وأسرف بعض العلماء الذين توا في دراسة اللغة نحوا اجتماعيا محضا، حتى أفضى بهم الإسراف إلى الإجحاف، وإلى الحيف على العلوم الأخرى، وعلى اللغة نفسها. إن إيمانهم المطلق بأن اللغة ظاهرة اجتماعية حملهم على أن يعدوها عادة من عادات السلوك. وكادوا، في غمرة التعصب العلم الاجتماع، أن يسقطوا من دراستهم اللغوية دلالات الألفاظ، وارتباط هذه الدلالات بالعقل. «لقد كان العالم اللغوي

سكينر **SKAINER** من أشهر العلماء اللغويين في عصره، وكان يعمل في جامعة هارفارد، وله كتاب بعنوان (السلوك اللغوي). ومما يؤخذ على أصحاب هذا الاتجاه إهمالهم لدراسة المعنى، فقد نظر سكينر إلى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية، تستحق الدراسة والعناية، مثلها في ذلك مثل أية عادة سلوكية» (مراد، 1986، صفحة 108).

ولا بد قبل الفراغ من الحديث عن علم اللغة الاجتماعي من الإشارة إلى أمرين:

أولهما أن هذا العلم وليد لما يبلغ أشده، ولا يعرفه أربابه تعريفة يوضح حدوده، ويميزه بسمات تفرده، ولهذا عرض له ما يعرض لغيره من العلوم الناشئة، فخالطه مصطلح آخر، وهو (علم الاجتماع اللغوي، أو علم اجتماع اللغة) **The Sociology of Language**. وهذا المصطلح يجعل الاجتماع أصلا واللغة فرعا، ولما كان علم اللغة الاجتماعي يجعل اللغة هي الأصل، فهو آثر لدينا وأولى عندنا بالتقديم.

وثانيهما أنه ظهرت علوم لغوية فرعية أخرى، قد تلامس علم اللغة الاجتماعي أو تلابسه، أبرزها علم اللغة الأنثروبولوجي **Anthropological Linguistics** وعلم اللغة الإثنولوجي **Ethnolinguistics**، وكلاهما موصول النسب بالإنسان وبالدراسات الإنسانية اللغوية. «الأول يدرس كيف يمكن للظواهر اللغوية أن تكشف عن هوية الفرد، أو أن تنسبه إلى عضوية دائرة اجتماعية، أو جماعة دينية، أو وظيفية، أو قرابة معينة، كما تكشف عن ثقافته بطبيعة الحال» (بشر، 1995، صفحة 44). والثاني «يعنى بدراسة اللغة في علاقتها بالبحوث الخاصة بأنماط السلالات البشرية، وأنماط سلوكها» (بشر، 1995، صفحة 44). وتستطيع أن تعرفه بقولك: «هو علم اللغة العرقي، أو علم لغة السلالات» (بشر، 1995، صفحة 44).

ولا يفهمن من هذه المصطلحات أنها عنوانات لعلوم اتضحت معالمها، ورسمت الحدود الدقيقة لها، أو أنه غدا لكل علم منها بحوثه التي استقل بها، فلم يشركه فيها قسيمه، وإنما هي علوم متداخلة متكاملة تتردد بين قطبين: اللغة والإنسان، اللغة بمفهومها العام غير المقتصر على أمة واحدة، أو شعب معين، أو قبيلة معروفة. والإنسان بوصفه مخلوقا اجتماعيا، يتكلم لغة من اللغات، وينتمي إلى شعب من الشعوب، ويصطبغ بصبغة ثقافية معينة، ويدين بدين من الأديان. وهذه العلوم ترمي إلى دراسته في هذه الميادين كلها تحت مظلة واسعة، عمودها اللغة، وأسلاكها هي هذه العلوم المستحدثة. (وافي، 1946، صفحة 137).

اللسانيات والمنهج السوسيولوجي الاجتماعي:

المنهج السوسيولوجي الاجتماعي:

وهو منهج يدرس اللغة على أنها بنت المجتمع، وان لا مجتمع بلا لغة، ولا لغة بلا مجتمع، ولذلك يعني هذا المنهج بالدلالات الموضوعية، اللغة يدرسها من خلال الاثر أو النص، أو النطق، أو المواقف النفسية والكلامية التي يظهر فيها مستعمل اللغة.

الباحث في هذا المنهج محلل، ومفسر للموقف، واشكال المنطق وانفعالات المتكلم، وقد فعل ذلك لوسيان جولدمان في تحليلاته للنصوص الأدبية، هذا عندما حللها في بداية الستينات:

إن الأثر اللغوي شكل بنائي يعبر عن موقف معين ازاء حركة التاريخ والمجتمع، وهو يتضمن عناصر حركية - دينامية ترتبط بالسلوك والفكر واللغة. ويقوم التحليل السوسيولوجي بمهمة القاء الضوء على:

1- العلاقات بين البني التركيبية، والثقافية والاجتماعية.

2- حساسية الفرد المبدع، تجاه ما يعتري البناء الاجتماعي من تغيرات وتطورات، وتحولات.

3- يلج الباحث الى السمات المميزة للمجتمع وتحولاته من خلال اللغة والتي يستعملها الفرد في كلامه أو ما يكتبه في أدبه وثقافته.

4 - يحاول الباحث الربط بين الاثر والحياة، ويكشف عن العلاقة الطبيعية بينهما ويمكن الكشف عن صحة المقولة: «إن الأدب يؤثر في المجتمع، وانه يعكس المجتمع» (لاينز، صفحة 34)، وهي فكرة قديمة قالها افلاطون، واعادت النظر اليها: (مدام دي ستيل) عام: 1800م، ثم جاءت دراسات كارل ماركس: 1845م وحاولت الربط بين الاثار والمجتمعات (حجازي س.، 1983، صفحة 45).

ونحن نرى أن في دراسة المجتمع - اي مجتمع - لابد من أن نضع اللغة في اول المصادر لمعرفة حقيقة ذلك المجتمع الذي تدرس لغته، فان النفاذ الى خصائصه وسماته تنقلها لنا مفردات لغته بأمانة وصدق.

ظهرت هذه النظرية في اوروبا، فاتخذت من الدراسات التي ذكرت قبل قليل تمهيدا لظهورها، وطبقت في الدراسات اللغوية والأدبية، وبنت حكمها على أن للأصول والظروف الاجتماعية أثرا كبيرا في لغة الاديب وبناءاته الشكلية في التعبير.

فالفكر الابداعي وغير الابداعي هو من صنع مرحلة اقتصادية واجتماعية في لحظة تاريخية معينة.

إنه منهج يركز على الجانب الاجتماعي - السوسيولوجي، لمضمون الاثر ويهمل - الى حد ما - التحليل اللغوي والشكلي، ولذلك يرى الكثير م ن الباحثين أنه ينبغي للباحث أن يستخدم كل العناصر الشكلية والمضمون - جزءا جزءا - في التحليل والدراسة، ليصل الى الموضوعية التي تصل ما بين عناصر الأثر الداخلية، وغيرها من العناصر الخارجية. وعلى العموم يبنى هذا المنهج على:

1- تعيين البنيات ودلالاتها في الفرد نفسه.

2- تعيين الصلة بين البني الفكرية للفرد، مقارنة ببني فكرية معينة.

3- تعيين الصلة بين البني الفكرية العامة، والبني الفكرية الأخرى لجماعة أو الجماعات مختلفة، وذلك أن هذا المنهج يهتم بالجانب الاجتماعي في لغة الفرد، ولان اللغة ترتبط ارتباطا جنوبا بظروف الافراد والجماعات وأنها تعبير عن الظواهر السائدة في المجتمع.

اللغة والسلوك الجماعي

العقل سلوك في وسط من الرموز، والعقل الجماعي سلوك جماعي في وسط من الرموز الجماعية، وسوف ننظر في هذا الفصل في المقصود من هذا.

ونحن مسوقون إلى علاج هذه المسألة، لا للرغبة في إعادة فتح باب مناقشة قديمة، ولا في أن نناقش مرة أخرى ما إذا كان ثمة شيء له طبيعة العقل الجماعي أم لا، فهذه مسألة ميتافيزيقية. ومما هو سبب لاهتمامنا بوظيفة اللغة في المجتمع أنه يتحتم علينا الاعتراف بأن السلوك الجماعي الإنساني يتخذ طابعا خاصا حينما دخلته الرمزية الجماعية أي الاتصال؛ وأن سلوكا من هذا النوع مشتملا على الرمزية ، له عند الجماعة نفس الوظائف التي للنشاط العقلي عند الفرد ، فالتذكر الجماعي، والتخطيط الجماعي، والإحساس الجماعي، والإرادة الجماعية، كل أولئك يعدل بوجود شكل ما من الاتصال الرمزي في الجماعة ، إن الاتصال الرمزي هو الذي يحمل في طوق الجماعة أن يتجه انتباهها إلى مجرى سلوكها، و إن اللغة لتمكن الجماعة من أن تجعل هذا الانتباه أكثر شمولا . وتجعل اللغة من الممكن بالنسبة إلى الجماعة أن ترمز إلى عقلها الجماعي فتعطي العقل الجماعي قوة يصير بها عقلا جماعيا شعوريا.

والاعتراف بكل ذلك هام من أجل فهمنا لوظائف اللغة في المجتمعات الحديثة، حتى إننا يجب هنا أن نمنح أنفسنا فرصة البدء في المناقشة خطوة خطوة. إن طبيعة العقل الجماعي غامضة مالم نظر إليها في علاقتها بالسلوك الجماع في عمومه، ومالم تعترف بأن العقل الجماعي ليس إلا شكلا من أشكال

السلوك الجماعي. وكما يرى علم النفس أن العقل الفردي في يومنا هذا جزء جوهرى من مجموع سلوك الفرد، يجب كذلك أن ننظر إلى العقل الجماعي كوسيلة رئيسية لاشتغال الجماعة بالنشاط اجتماعي.

ومن ثم يجب أن نبدأ في هذا الفصل بالسلوك الجماعي في عمومه، ثم ننتقل من هذا السلوك إلى التأمل في العقل الجماعي في علاقته باللغة. وسنبدأ بتذكر أن السلوك الجماعي يتميز عن السلوك الفردي، وأن أنواع النشاط التي يقوم بها الناس في جماعات ذات أشكال مخالفة لأي سلوك يقوم به الأفراد في عزلتهم. ثم نشرح بعد ذلك أن السلوك الجماعي الإنساني، كما نعرفه اليوم، إنما يكون في العادة - إن لم يكن دائما - في وسط من الاتصال الرمزي، الذي هو وسيلة تستطيع الجماعة بها أن تنظم بقية سلوكها، بتأجيله، وتوجيه، في ضوء ذكريات الماضي غالبا. وبعبارة أخرى يصبح الاتصال الرمزي وسيلة تستطيع بها الجماعة أن تراقب سلوكها؛ ووسيلة تكون الجماعة بها عقلا جماعيا. فإذا سامنا بهذا أصبح من المعقول أن يكون ثمة تطور في العقل الجماعي لبعض الجماعات أرقى منه في الجماعات الأخرى، طبقا لمدى التشعب في الاتصال الرمزي، وأن الجماعة ربما اشتغلت أحيانا بسلوك جماعي لا يدور حوله اتصال رمزي في الجماعة. وسوف يكون هذا سلوكا جماعيا لا شعوريا، أي سلوكا لا تشعر الجماعة به باعتبارها جماعة، ولو أن الأفراد في داخل الجماعة ربما شعروا بهذا السلوك. وسوف يكون هناك اختلافات في توسيع وتضييق معرفة الجماعة بالسلوك الجماعي على قدر مدى الرمزية الجماعية ودرجتها في السلوك الجماعي.

وسنشرح أخيرا أن للغة مكانا فريدا بين أنواع الاتصال الرمزي المختلفة، من حيث إنها وسيلة يصبح بها العقل الجماعي عقلا جماعيا شعوريا. ومن هنا ربما انقسم السلوك الجماعي إلى درجات ثلاث: أولاها سلوك بلا رموز جماعية، والثانية سلوك بر موز جماعية غير منطوقة، والثالثة سلوك باللغة. وسوف نرى على أي

حال أن السلوك الجماعي الإنساني، في الحقيقة، نادرا ما يكون من النوع الأول. وبعبارة أخرى، يتلقى السلوك الجماعي الإنساني دائما توجيهات العقل الجماعي إلى حد ما مهما كان بدائيا، ومهما قل فيه الشعور؛ ور بما أصبح العقل الجماعي كامل الشعور حيث توجد اللغة بدرجة راقية.

ويتبع هذا أن الثورة اللغوية، أو تدخل اللغة المتزايد في حياة الجماعة، يجب أن تكون لها آثار هامة في العقل الجماعي. وسنناقش هذه الآثار في الفصول الآتية.

هل ثمة سلوك جماعي؟ وهل السلوك الناس حين يعملون في مجموعات خصائص مميزة لا توجد في سلوك الأفراد الذين يعملون في عزلة؟ وهنا نقف وقفة محددة، مع دعوى أن الجواب على هذين السؤالين إنما هو بالإيجاب.

وواضح أولا أن الكثرة الغالبة من أشكال السلوك لا تصبح ممكنة إلا في الجماعات. وأصغر جماعة إنما تكون من اثنين؛ ولا شك أن ثمة جمهرة من أنواع النشاط، لا يقوم بها الناس إلا مثنى، مثنى؛ ولا يمكن أن يقوم بها شخص واحد منفردا. وحين نتكلم عن هذه المجموعات الثنائية، نجد السلوك الجنسي هو أوضح مثال يقفز إلى الذهن، ولكن أمثلة تساوى ذلك في القوة تأتي في صورة المبارزات، والغناء الزوجي، أو أية لعبة، أو تعاقد، أو محادثة يقوم بها اثنان. ولا يستطيع واحد من المجموعة الثنائية أن يقوم وحده بما يقوم الاثنان به معا، وإن نماذج العمل الفردي في حالة العزلة تختلف عن نماذج العمل المشترك.

وما يصدق على المجموعات الثنائية يصدق بدرجة أوضح على الجماعات الكبرى. فيختلف عمل اللجنة عن المناقشة بين اثنين، وهو كذلك أكثر اختلافا عن التفكير الفردي. وإن لعبة «الرجبي»، والمعركة، والمحاكمة العرفية، والعمل في مجموعة في المصنع، والأوركسترا، كل أولئك أشكال من السلوك لا يمكن الفرد أن يقوم بها وحده. وفي كل هذه الأمثلة نجد سلوك كل عضو متعاون يختلف من

جهات كثيرة عن أي شيء يفها، وهو منفرد؛ فنماذج العمل الجماعي تختلف عن نماذج العمل الفردي، لأن الأولى على وجه التحديد عمل مشترك من عدد من الناس يعملون معا.

ونماذج السلوك الجماعي الإنساني مع هذه الفروق تشبه في نفس الوقت نماذج من السلوك الفردي حين العزلة. فالجماعة كالفرد، توجد بفضل مدى قدرتها على فرض نفسها على البيئة. ويتجه سلوك الجماعة إلى البيئة، سواء منها الإنسانية، وغير الإنسانية، مع نية الإبقاء على الوضع الداخلي فيها، والثبات في وجه قوى التفكك الخارجية. أما الأفراد الذين تتكون منهم الجماعة، فيؤدون سلوكا مشتركا متجهين إلى هذه الأهداف. ويتضح في أثناء ذلك أن ثمة سلوكا عقليا فرديا، إدراكيا واشتهائيا على السواء. وإذ يكشف الناس في عملهم المشترك عن بيئة الجماعة، ويستغلونها، يفكرون ويحسون ويريدون باعتباره أفرادا. أما السؤال الحاسم فهو هل ثمة سلوك عقلي جماعي كذلك، أي سلوك إدراكي واشتهائي للجماعة باعتبارها جماعة؟.

ويقودنا هذا فورا إلى سؤال آخر هو «ما الدور الذي يلعبه الاتصال الرمزي، ولا سيما اللغة، في السلوك الجماعي؟» وهمنا هنا منصرف إلى المجتمعات المعقدة في حضارتنا المعاصرة، ولكننا سنستطيع أن ننظر نظرة أوضح إلى سلوك مجتمعاتنا المعقدة، إذا ابتعدنا قليلا عنها وحاولنا أولا أن تحصل على صورة المنزلة الاتصال في المجتمعات الأكثر بدائية.

ومن الممكن فرضا أن ندرك السلوك الجماعي دون أن يكون في وسط من الاتصال الرمزي.. أي السلوك الجماعي الذي لم يؤد الاتصال الرمزي أي دور فيه، أي ينعدم الرمز فيه أثناء أدائه لوظيفته. وربما كان السلوك الجماعي لحيوانات غير الإنسان، كالحشرات غشائية الأجنحة مثلا من هذا النوع، لسنا ندرى. أما فيما يختص بالنشاط الجماعي الإنساني، فكلما لاحظناه عن كثب أصبح من

الواضح أن نوعا من الاتصال الرمزي قد أدى فيه دورة، إما في تطوره، أو في تأدية وظيفته. إن «ساپير»، أحد علماء الدراسات الشعبية القلائل الذين منحوا وظائف اللغة في المجتمعات البدائية عناية خاصة باعتبار هذه الوظائف متميزة عن صيغ اللغة، ليستنتج أن «كل نموذج ثقافي، وكل عمل مفرد من أعمال السلوك الجماعي، يشتمل على اتصال، إما بمعنى ظاهر أو خفي». (لويس، 1959، صفحة 129).

الخاتمة: تخلص مما عرضنا إلى أن علم اللغة الاجتماعي أصبح من العلوم البارزة في ميدان الدرس اللغوي. ولا يؤخذ عليه إلا غلو نفر من أصحابه في فرض آرائهم، وفي تعليلهم كل طارئ يطرأ على اللغة، أو بدعة ثبت فيها بعلل اجتماعية خالصة. قال الدكتور علي عبد الواحد وافي: «يتبين لنا فساد ما يذهب إليه بعض المتطرفين من علماء الاجتماع كالعلامة السويسري دو سوسير **De Saussure** ومن نحا نحوه، إذ يقررون أن جميع المؤثرات في حياة اللغة ترجع إلى أمور اجتماعية (وافي، 1946، صفحة 137).

قائمة المراجع:

أحمد ماهر البقري. (1984). اللغة والمجتمع. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

جون لاينز. اللغة والمعنى والسياق.

رالف بيلز. (1976). مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة. مصر: دار النهضة.

ستيفن أولمان. (1962). دور الكلمة في اللغة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

سمير حجازي. (1983). المناهج المعاصرة للدراسات الأدبية. القاهرة: دار الكتب.

عبد التواب رمضان. (1985). المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث. القاهرة: مكتبة الخانجي.

عبد السلام المسدي. (1986). اللسانيات وأسسها المعرفية. تونس: الدار التونسية للنشر.

عبد الله ثريا. (1998). اللغة والمجتمع. القاهرة: دار المعارف.

عثمان بن جني. (1952). الخصائص. القاهرة: المكتبة العلمية.

علي عبد الواحد وافي. (1946). اللغة والمجتمع. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

فندريس. (1950). اللغة. القاهرة: دار المعارف.

كمال محمد بشر. (1995). علم اللغة الاجتماعي. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.

لول ديورانت. (1971). قصة الحضارة. بيروت: دار الجيل.

ماريو باي. (1973). أسس علم اللغة. طرابلس: عالم الكتب.

محمد حسن عبد العزيز. (1983). مدخل إلى علم اللغة. القاهرة: دار الكتب.

محمود فهمي حجازي. (1989). مدخل إلى علم اللغة. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

ميم لويس. (1959). اللغة في المجتمع. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

وليد محمد مراد. (1986). المسار الجديد في علم اللغة العام. دمشق.